

الخطبة الحادية والستون

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 83 / 4-6]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، أما بعد:

اتفق العلماء على أن الرقيب اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 4 / 1]، والرقيب هو الذي يراقب أحوال العباد ويعلم أقوالهم ويحصي أعمالهم، ولا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [يونس: 10 / 61].

والرقيب لغة هو المنتظر والراصد والمطلع على ما في الصدور والنفوس، يحيط بمكنونات سرائرهم سبحانه وتعالى. ولذلك وصى عليه الصلاة والسلام بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» البخاري. وحدّر الله سبحانه ويّن فقال تعالى: ﴿وَأَرْتَقِبُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿١٣﴾﴾ [هود: 11 / 93]، لذلك كان العلماء رحمهم الله تعالى يحذّرون الناس ويعلمون الأولاد بأن الله جلّ وعلا الرقيب على أعمالهم مطّلع على ما في صدورهم، وقال بعضهم: إذا زرعت في قلب أبنائك الفهم بأن الله يراقبهم في أعمالهم وأقوالهم ونياتهم فقد أسديت لهم نعمة عظيمة وخدمة جليّة، لأن الإنسان إذا عرف أنه مُراقب لم ينحرف، وإذا عرف أن أفعاله مسجلة عليه اختار أحسن العمل وأدقه، وقد زرع فينا رسول الله ﷺ ذلك فقال من حديث سعيد بن يزيد الأزدي: قال سعيد: قلت للنبي ﷺ: أوصني، فقال عليه الصلاة والسلام: «أوصيك أن تستحي من الله عز وجل كما تستحي من الرجل الصالح من قومك» (حم - صحيح الجامع (2541)).

نعم، إذا كنت أمام عظيم قوم أو أمام والدك، أو أمام مسؤول فهل ترتكب مخالفة؟ الجواب بديهي، إذا كنت على الطريق وترى سيارة الشرطة فهل تسرع؟ الجواب بديهي. فإذا تعشقت في قلبك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ ﴿٥﴾ [آل عمران: 3/ 5]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ﴿٨٠﴾ [الزخرف: 43/ 80]، وقال تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [المائدة: 5/ 94]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهٖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ [الملك: 67/ 12-14].

معرفة أن الله معي وأن الله مطلع علي وأن الله: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ﴿١٩﴾ [غافر: 40/ 19]، وأن الله لا يخفى عليه خافية أينما كانت، واسمع معي إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ﴿٤﴾ [الحديد: 4/ 57]، هذه الآية الكريمة لم تترك شاردة ولا واردة في ملكوت السموات والأرض إلا أحاطت بها.

وكان العلماء والمربون والوعاظ يعلمون أولادهم وطلابهم سورة المطففين، حيث قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ [المطففين: 83/ 1-6]، هذه الآيات الست مهمة جداً، فإذا كان الله يُحذِر من باع واشترى بأن لا يبخس الناس حقهم وأن لا يظلمهم ولا يغشهم، وجاء التهديد العظيم لهؤلاء بقوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾؟ تهديد ووعيد وتخويف وتحذير لمن يغش الناس في الكيل والميزان، هؤلاء الذين يأكلون الأموال ويسرقونها أليسوا أعظم ذنباً من الكيل والميزان؟ هؤلاء الذين ينالون من أعراض الناس وسمعتهم وشرفهم أليسوا أعظم ذنباً؟ هؤلاء الذين يفرقون بين الأقارب وبين الأخوة ويزرعون الدسائس والقطيعة، ويفشون أسرار الناس أليسوا أعظم ذنباً وجرماً؟ ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾؟ هؤلاء الذين

يكذبون على الله ورسوله وينشرون الأحاديث الكاذبة والقصاص الكاذبة عن الله ورسوله وصحابته، ألا يخافون؟ ﴿الْأَيْظُنُّ أَوْلِيَّتِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾؟

هؤلاء الذين يشهدون الزور، ويفترون الأباطيل، ويأكلون حقوق العباد بشهاداتهم وأيمانهم الكاذبة ﴿الْأَيْظُنُّ أَوْلِيَّتِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾؟ هؤلاء الذين يظلمون أزواجهم وأولادهم ويفرقون بين الذكر والأنثى من أولادهم، ويضربون أزواجهم ويهجر ونهن ويبخلون عليهن، ولا يعاملوهن المعاملة اللائقة الجيدة ويضيقون عليهن، ﴿الْأَيْظُنُّ أَوْلِيَّتِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾؟ وهؤلاء الذين يأكلون الربا ويتعاملون بالحرام ولا يأبهون لكبيرة ولا لصغيرة، قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَتَعْلَمُ بِأَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ ﴿١٤﴾﴾ [العلق: 96 / 13-14]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: 2 / 235]، نعم يُحذرننا ربنا من نياتنا وما نضمرة في نفوسنا، فالله سبحانه لا تخفاه خافية وأن المرجع والمآل إليه سبحانه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جاره بوائقه» (حم)، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (البخاري ومسلم)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: 89 / 14]، أي أن الله يراك ويراقبك وسوف يجازيك.

قال ﷺ: «ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، وثلاث كفارات، وثلاث درجات، فأما المهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه، وأما المنجيات: فالعدل في الرضى والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السر والعلانية، وأما الكفارات: فانتظار الصلاة بعد الصلاة، وإسباغ الوضوء في السبرات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وأما الدرجات: فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام» طس عن ابن عمر.

* مراقبة الله عز وجل:

1. تُدخل الجنة بإذن الله. 2. تكسب بها رضا الله عز وجل.

3. باعث على الخير والطاعة.

4. إنها من أفضل العبادات.

5. تردع عن فعل المعاصي.

6. يصلح بها الحال مع الله، والناس، وأهلك، وبينك وبين نفسك، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ

نَخْتَمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: 36 / 65].

كان هناك رجل ثري يدعى: (نوح بن مريم) وكان له بستان كبير فاستأجر رجلاً اسمه: (مبارك) ليحرس البستان ويقوم بخدمته، وذات يوم استضاف نوح عدداً من ذوي الجاه ومن عليه القوم إلى بستانه، وأمر مبارك بأن يحضر لهم من فاخر الفاكهة، وفعل مبارك ذلك، وأكل الحضور من الفاكهة فلم يسروا بها لأنها كانت حامضة فجّة، واغتاظ نوح من مبارك وقال: أتريد أن تخزيني أمام صحبي؟! فقال مبارك: والله ما أردت هذا، ولكني لا أعرف الفرق بين الفاكهة الحامضة والحلوة، فقال نوح: تعمل عندي من كذا وكذا ولا تعرف الفرق؟ فقال مبارك: والله ما ذقت ولا حبة فاكهة من بستانك لأعرف الفرق وأنا ليس لي خبرة. فقال نوح: ولم لم تأكل من البستان؟ قال مبارك: أنت استأجرتني للحراسة وللخدمة، ولم تسمح لي أن آكل، فليس لي أن آخذ ما ليس لي فإنه حرام عليّ. أعجب نوح بهذا الرجل! وقيل: إن مبارك كان عبداً فأعتقه نوح، وكان عنده ابنة جميلة وأراد لها رجلاً صالحاً فعرض عليها الزواج منه، فقالت: أترضاه لي يا أبت؟ قال: نعم إنه رجل صالح يخاف الله ولا يأكل الحرام، وهذا حري أن يخاف الله فيك ويصونك ويرعاك. فتزوجته وأنجبت له عبد الله بن المبارك، العالم الزاهد الورع التقي محدث عصره رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل: 16 / 97]، وقال عليه الصلاة

والسلام: «إنك لن تدع شيئاً لله عز وجل إلا بدلك الله به ما هو خير لك منه» حم (21996)، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين

لمن لا عهد له» مسند الإمام أحمد.

قال **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «أوصيك بتقوى الله فإنه رأس الأمر كله، عليك بتلاوة القرآن وذكر الله، فإنه ذكر لك في السماء ونور لك في الأرض، عليك بطول الصمت إلا من خير، فإنه مطردة للشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك، إياك وكثرة الضحك! فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه، عليك بالجهاد، فإنه رهبانية أمتي، أحب المساكين وجالسهم، انظر إلى من تحتك ولا تنظر إلى من فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عندك، قل الحق وإن كان مرّاً، لا تخف في الله لومة لائم، ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك، ولا تجد عليهم فيما تأتي، وكفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال: أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحي لهم مما هو فيه، ويؤذي جلسيه، يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق» (عبد بن حميد في تفسيره، طب عن أبي ذر).

والبنت التي سمعها عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ عندما سألتها أمها أن تغش الحليب بالماء، فقالت: ألم ينة أمير المؤمنين عن الغش؟ فقالت أمها: وأين أمير المؤمنين منا الآن؟ فقالت البنت: إن كان أمير المؤمنين غائباً فإن الله يرانا ولا تخفى عليه خافية، فسمع عمر هذا، وقال لابنه عاصم: اذهب فتزوج من هذه البنت، وكان عمر بن عبد العزيز من أحفادهما. قال تعالى: ﴿الْأَيُّظُنُّ أَوْلِيَّتِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: 83 / 4-6].

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قدر له» (ت - جه عن زيد بن ثابت - حب - الدارمي).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «من جعل الهموم همماً واحداً؛ همّ المعاد، كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا لم يبال الله به في أي أوديتها هلك» (ابن ماجه).

نحن نعلم بأن كل شيء يشهد علينا، فالملائكة تكتب وتشهد، وأعضاؤنا تشهد علينا بما فعلنا وبما كسبنا وبما ظلمنا، وقد ثبت الله سبحانه هذا في قرآنه فقال: ﴿وَقَالُوا لِمَ جُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: 41 / 21]، والأرض التي

نمشي عليها تشهد علينا، قال عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: 99 / 4]، قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الأرض تشهد على بني آدم عمله التي عمل عليها في مكان كذا من يوم كذا»، وفوق كل الشهود شهادة الله سبحانه وتعالى: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الرعد: 13 / 43]، وعندها ترى كل الشهود ضدك، قال تعالى: ﴿وَبَدَأَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: 39 / 47].

وقال عليه الصلاة والسلام: «استحيوا من الله حق الحياء، ومن استحيا من الله فليحفظ الرأس وما وعى، وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء» - حم - الترمذي.

وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنه خرج مع صحبه فوجد راعياً، فقال له: بعنا من غنمك، فقال الراعي: إنما أنا عبد مؤتمن وليس لي الحق في البيع، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: خذ ثمنها وقل لصاحبها أكلها الذئب، فرفع الراعي إصبعه إلى السماء وقال: أين الله إذا؟ أين الله إذا؟ فاشتراه عبد الله رضي الله عنه واشترى الغنم وأعتقه وأعطاه الغنم. ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ [لِيَوْمٍ عَظِيمٍ] ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 83 / 4-6].

قال عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن» صحيح الترمذي.

إن من سوء الأدب مع الله تعالى أن نخشى الناس، ونخاف الناس، ونستتر من الناس، ولا نخشى ولا نخاف ولا نستتر من الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: 108 / 4].

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله» متفق عليه، وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار» البخاري ومسلم.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها عن صفيية رضي الله عنها: إنها قصيرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا عائشة لقد قلت كلمة لو مزجت بمياه البحر لأفسدته» سنن الترمذي، هل تكره الخير لإخوانك؟ هل تُسر إذا أصيب أحد إخوانك بمصيبة؟ هل تحسده إذا أصابه غنى أو خيراً أو حصل على وظيفة جيدة أو اشترى بيتاً جميلاً أو سيارة أنيقة؟ يا عبد الله، اتق الله وراقبه.

1. مراقبة قلبك. 2. مراقبة لسانك. 3. مراقبة وارحك. 4. مراقبة واطرك.
5. إياك والأمنيات الحرام، أي أن ترى الحرام فتتمناه لنفسك، وتذكر الحديث: (فهما في الوزر سواء) أي الفاعل والمتمني.

6. وإياك والتكبر والغرور والعُجب وازدراء الناس والخيانة والكذب والغش، ﴿الْأَيْظُنُّ أَوْلِيَّتِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: 83 / 4-6].

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه

